محدودية الفكر في عقلية المؤرخين

م. د. إخلاص جبار كاطع المالكي
المديرية العامة لتربية محافظة البصرة

المستخلص:

إن الفكر ودلالاته في القرآن الكريم قائمين على قواعد إلاهية، وهي قواعد تتصف بالشمول والثبات والاستمرارية, أي أنها شاملة لكل البشر وثابتة لا تطرأ عليها التغيرات ومستمرة لا تتوقف منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا, ونظرا لان بحثنا قد انصب على مدى وجوده في عقلية المؤرخين، فإننا وجدنا ذلك الفكر محدوداً عند البعض منهم اي انهم يتميزون بعقلية كلاسيكية مهمتها نقل الأحداث فقط، والآخر من المؤرخين ينقلون ممن سبقهم دون الاعتماد على فكر القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكانت النتيجة ان الفكر في عقلية النوعين من المؤرخين تشوبه المحدودية والاقتصار على التفكير السطحي في نقل الحقائق وتحليلها، ولهذا وذاك نتائج وآثار خطيرة خاصة على المؤرخين المحدثين من جهة وعلى افراد المجتمع من جهة اخرى.

الكلمات المفتاحية: الفكر، العقلية، المؤرخون، المحدودية.

The Constrained Perspective in the Mentality of Historians

Dr. Ikhlas Jabbar Katea Al-Maliki
General Directorate of Education in Basrah Province

Abstract

The concepts and their implications in the Holy Quran are grounded in divine principles, which are defined by their all-encompassing nature, consistency, and enduring presence. These principles apply universally to all individuals, remain unchanged over time, and persist from ancient eras to the contemporary period. Our investigation revealed that the awareness of this concept among historians is somewhat restricted. Many exhibit a traditional approach, primarily concerned with recounting events. In contrast, others tend to relay information from their predecessors without integrating insights from the Holy Quran and the Noble Prophetic Sunnah. The outcome indicates that the perspectives held by both categories of historians are constrained by limitations and confined to a superficial approach in conveying and interpreting facts. This situation carries significant implications, particularly for contemporary historians and for society as a whole.

Keywords: thought, mentality, historians, limitation.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد 2- المجلد 50- حزيران لسنة 2025

محدودية الفكر في عقلية المؤرخين

المقدمة

إن لكل إنسان عاقل فكر، يختلف باختلاف دلالاته, وهكذا كان المؤرخون من العقلاء الذين اعتمدنا عليهم في معرفة أحداث التاريخ وشخوصه, ولهذا السبب توجهنا لتلك الدراسة التي جاءت بعنوان : محدودية الفكر في عقلية المؤرخين.

وعلى هذا الأساس قسمنا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة مصادر, جاء المبحث الأول بعنوان مفهوم الفكر وأبعاده الاستدلالية, إذ يجب أن نعرف أولاً معنى الفكر ومعنى الدلالات التي تتزامن مع الفكر وتدل عليه في القرآن الكريم قبل التعرف على عقلية المؤرخين ودلالات الفكر فيها, لمعرفة فيما كانت تصب عقليتهم, وبعد ذلك وضعنا المبحث الثاني بعنوان الفكر في عقلية المؤرخين, تلك العقلية التي كانت عقلية كلاسيكية, التي تعتمد على التقليد بدون إبداء رأي أو تمييز في كثير من الأحيان، وأشرنا في هذا البحث ايضاً إلى عقلية بعض المؤرخين في تطبيق الأدلجة على التاريخ وتشويه حقائقه, لذلك كانت عقليات هؤلاء تشوبها المحدودية، ولا تخلو تلك العناوين من الإيجابيات , التي سنوضحها في ثنايا البحث, وجاء المبحث الثالث بعنوان الآثار الناجمة عن محدودية الفكر في عقلية المؤرخين.

أما الخاتمة فهي استنتاجٌ لما توصلنا إليه في المباحث, واعتمدنا عدداً من المصادر التي أرشدتنا إلى المعلومات التي اعتمدناها مصاديقاً وأدلة.

المبحث الأول: مفهوم الفكر وأبعاده الاستدلالية

أولا: معاني الفكر في اللغة والاصطلاح

الفكر لغة: فَكَّرَ في الأمرِ فِكْراً: أعمل العقل فيه, وَرَتَّبَ بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول[١], وقيلَ تأَمّلٌ بنظر وروية في الشيء[٢].

وفي الاصطلاح قيل: الفكر هو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول ذكره وهو حركة النفس من المطالب إلى الأوائل، والرجوع منها إليها وكذلك جولان الخاطر في النفس أو هو قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان لا للحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب, وقيل الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها[٣].

ووقوفا على العنوان الرئيس للبحث فإن الدلالات تعني: تبيان الشيء وتوضيحه والإرشاد إليه, وهي في اللغة مأخوذة من مفردة دلالة, وعليه قيل: " دَلَّهُ على الطريق يَدّلهُ دلالةً"[٤].

ومن خلال تعريفات الفكر والدلالات ممكن أن نستنتج تعريفا مدمج لهما, فنقول: الدلالات الفكرية هي المصاديق التي تدل على معنى الفكر ووجوده.

ثانيا: دلالات الفكر في القرآن الكريم

يدعو القرآن الكريم إلى إعمال الفكر في آيات كثيرة ويسمى هذا الإعمال بأسماء عديدة, منها:

✺ أولاً: التفكر

وردت تصريفات هذه الكلمة في كتاب الله تعالى قرابة عشرين مرة بصيغ مختلفة دالة على أهميته ومنزلته في هذا الكتاب العظيم ودالة على أن الإسلام دين موافق للعقول السليمة والفطرة القويمة.

ومن ذلك قوله تعالى: " كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"(٥).

إن آيات التفكر هذه تُظهر للمتأمل أهمية العقل والفكر، وأنها نعمة ربانية عظيمة اختص اللهُ بها الإنسانَ، وجعلها مناط التكليف، وميَّزه بها عن غيره من بين سائر الجمادات والمخلوقات، وقد نص بعض العلماء على أن منزلة التفكُّر تعد من أفضل الأعمال وأشرفها, "وهذا لأن الفكرة عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف الجوارح؛ فكان عمله أشرف من عمل الجوارح"(٦), وقيل:" أفضلية الفكرة على الصلاة والصوم, فقد يتوجه أن عمل القلب أفضل من عمل الجوارح"(٧).

ولقد كثر الحث في كتاب الله – تعالى – على هذه العبادة الجليلة؛ نظراً لأهميتها وفضلها العظيم, إذ إنها تورث العلم والمحبة، والنور والإيمان، وهي عبادة أهل الصلاح والتقوى، ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام عن الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري: " كانت عبادة أبي ذر رحمه الله التفكر والاعتبار"(٨).

وللتفكر في القرآن الكريم مجالات تكمن في التالي:

✺المجال الأول: التفكر في الدليل القرآني: وفيه يكون التفكر في آيات الله المسموعة التي حث الله – عز وجل – على التفكر فيها وتدبُّرها في أكثر من نص في القرآن الكريم كقوله – تعالى –: " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(٩), وقوله – تعالى –: " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(١٠), وذلك أن المرء يتفكر في هذه الأدلة حين سماعها أو تلاوتها، وما تتضمنه من دلائل باهرة تحث على توحيد الله والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ويتفكر أيضاً فيما جاء فيها من معجزات ودلائل وبشارات وعبرة وأحكام، ونحوها، ويتفكر في معجزة ألفاظه، وعظمة أحكامه، وقوة حججه وبراهينه... إلخ.

فهذا التفكر يورث في القلب محبةَ الخالق وتعظيمَه، وإخلاص العبادة له، والتوكل عليه، وزيادة الإيمان واليقين، وغير ذلك من مقامات العبودية وأعمال القلوب.

✺المجال الثاني: التفكر في الدليل العيني: وهو آياته المشهودة، ولقد أثنى الله – عز وجل – على من يتفكر في ذلك، فقال – تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"(١١).

وقد ثبت في صحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: «لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها... ثم تلا هذه الآية»(١٢).

إن الآيات الواردة في القرآن تلفت الأنظار إلى الآيات المشاهَدة من أجل إعمال التفكر، وكيفية الختم بالدعوة والحث على التفكر.

فلو أمعنا النظر في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(١٣), وأيضاً في هذه الآية، وما فيها من تجانس وتماثل وعبرة: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(١٤), وكذلك في هذا المشهد البديع، والإعجاز الفريد: " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(١٥).

إلى غير ذلك من الآيات العظيمة المشاهَدة في الآفاق، والمعجزات الباهرة المتقنة في هذا الكون الفسيح, فمشهد السماوات والأرض، ومشهد اختلاف الليل والنهار، ومشهد جميع المخلوقات، في تناسقها وإبداعها، لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا، ولو تلقيناه كمشهد جديد تتفتح عليه العيون أول مرة؛ لاهتزت له مشاعرنا، ولأحسسنا أن وراء ذلك حكيماً يدبر، وعليماً قادراً كما في قوله عز وجل: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(١٦).

✺ثانياً: التدبر

ويعني به الإلمام الشامل بكل آيات القرآن الكريم حتى يصل الإنسان الملم بها إلى مرحلة التدبر, ومنه قوله تعالى: " أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا"(١٧).

✺ثالثاً: التذكر

يعد التذكر في الواقع نتيجة للتفكر, بل هو أعلى منه؛ لأن التفكرَ هو في الواقع طلبٌ للتذكر فالتفكر يكون بتحريك العقل وإجالته في الأمور من أجل أن يحصل للإنسان التذكر, ولو لاحظنا الآيات القرآنية الخاصة بالتذكر لوجدناها لا تخص سوى المؤمنين– ذوي العقول اليافعة والذين يُسمون أحياناً بذوي الألباب.

ومن الآيات الكريمة التي وردت فيها لفظة التذكر هي قوله تعالى:" أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"(١٨).

وقوله جل علا: " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"(١٩).

نستدل من الآيات الكريمة الواردة أعلاه على تفكر المؤمنين ومن ثم وصولهم إلى مرحلة التذكر التي لا يصل إليها إلا ذوو المستويات العالية من الإيمان.

وهناك الكثير من الصيغ الدالة على الفكر منها النظر والتبصر والتعقل وكل ما من شأنه أن يدل على ذلك, فهذه الصيغ تعبر عن على عظيم منزلة الفكر والأمر به أمر لافت للأنظار, عجيب في كثرته وتنوعه وصيغه لتثقيف المجتمع وإرشاده إلى السبيل السوي.

أما الأبعاد الاستدلالية للفكر, فنعني بها أن الفكر متعدد ولا ينحصر في مجال واحد, فهو يصب في مجالات متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها من المجالات, وبالفكر تتمثل رمزية التعقل, والفكر لا ينتمي إلى التفكير, لأن التفكير يحمل الصواب والخطأ بينما يحمل الفكر الصواب فقط, وهذا ما بينه الإمام علي عليه السلام بقوله عندما سألوه عن العاقل: (هو الذي يضع الشيء في مواضعه, فقالوا له: صف لنا الجاهل, قال: قد فعلت)[٢٠], ويعني من قوله عليه السلام أنه وصف الجاهل عن طريق وصفه للعاقل بطريقة غير مباشرة, أي أنه الذي يعاكس العاقل ولا يضع الشيء في موضعه، وقد بين احد الباحثين ايضا مقولة امير المؤمنين بقوله : إذ يؤكد الامام علي عليه السلام ان صاحب العقل يتميز بأنه غير متخبط في أفعالة وإنما يضع الامور في نصابها المحددة لها[٢١]

المبحث الثاني: الفكر في عقلية المؤرخين

عُد كبار المؤرخين الذين لم يضعوا الشيء مواضعه في مصاف المفكرين رغم أنهم كتبوا التاريخ بشكل روائي دون الالتفات إلى الفكر رغم أن الرواية هي جزء من التاريخ وليس التاريخ كله, فإذا لم تتوفر أدوات المؤرخ في كتابة التاريخ فلا يوجد هناك مؤرخ, وعليه يمكن أن نقسم عقلية المؤرخين على قسمين:

أولا: العقلية الكلاسيكية

ونعني بها تلك العقلية التي تنقل المعلومات مباشرة من دون التحليل، او الفحص , او التحقق من صحة المعلومات،وعلى الرغم من سلبيات هذه العقلية , لكن هناك عقلية تقليدية إيجابية, فهي تنقل الجيد الذي لا يحتاج إلى فحص وتدقيق أحياناً, ولكنه مع ذلك لا يعد هذا فكراً, لأن المؤرخ لم يخضع المادة التي نقلها إلى شروط الفكر, بل نقلها كما هي, وهذا ما ورد في مؤلفات القدامى, إذ لم يكن منهجهم موضوعي وعقلاني، لأنهما منهجين بعيديَن عن التقليد حتى وأن كان التقليد إيجابي إلا أنه غالبا يحتاج إلى تحقيق وتحليل, وهذا ما حث عليه رسول الله في قوله: " نضَّرَ الله عبدًا سَمِع مقالتي فوعاها، فبَلَّغها مَن لَم يَسْمعها، فرُبَّ حامل فِقْه إلى مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فِقْه ليس بفقيه"[٢٢]، فهذه دلالة واضحة إلى ضرورة الوعي بالنقل والتفحص والتمحيص.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

انطلق هؤلاء المؤرخين من قاعدة(هذا ما وجدنا عليه آباءنا) ولو كان آباؤهم لا يعقلون, فقد تعمدوا نسخ المعلومات ولصقها دون إضافة شيء جديد إلى المادة, فمثلا لو نظرنا إلى حادثة دخول جيش المسلمين إلى شبه الجزيرة الأيبيرية سنة (٩٢هـ/٧١٠م) لوجدنا أن المؤرخين جميعهم يذكرونه على أنه فتح إسلامي لتلك البلاد, فيكثرون المدح والثناء على المسلمين الذين فعلوا ما فعلوا هناك من دون الأخذ بنظر الاعتبار أن هناك جوانب إنسانية يجب المحافظة عليها أضف إلى أخلاق الإسلام التي يجب أن يتحلى بها كل من ينتمي إلى الإسلام ويترك التعصب القبلي والبداوة والظروف الاجتماعية على جانب, لأن الإسلام يتناقض معها, فالإجهاز على الطرف المقابل وهو في عقر داره لا يستوجب القيام بأبشع الجرائم التي افتعلها الجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس خطأ[٢٣]؛لأن الفتح ليس بالقوة العسكرية وإنما بالمنطق, الفتح يكون عن رضا نفس, وهذا ما وجدناه في قوله تعالى: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا))[٢٤], بينت الآية الكريمة أن الفتح هو دخول الناس إلى الدين أفواجاً أفواجا, وبلا شك لم يكن ذلك الدخول بالقوة والسيف والتهديد وإرهاب الناس.

وهذا ما كان الإمام علي عليه السلام يثقف الناس عليه, وهو يوصي جنده بأخلاق الحرب قائلا لهم: ((لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل. فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس))[٢٥].

لاحظنا من وصية الإمام علي عليه السلام مدى وجود لأخلاق الحربية في الإسلام والحفاظ على المبادئ الإنسانية السامية , لكي تجذب السكان بالدخول للإسلام وتحببه في قلوبهم على العكس من قوة السيف وسفك الدماء , الأمر الذي يرفضه الإسلام, وهذا ما بينه الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سألوه عن عدم مشاركته بما أسموه جهاد أبان الدولة الأموية, فرد عليه السلام قائلا: ((والله لو كان خيرا ما سبقونا إليه))[٢٦], ولكن المؤرخين اكتفوا بذكر الحادثة على أنها فتحا وسار على نهجهم الكثير من الباحثين, وهو مسار له نتائج وخيمة متضاربة مع المنهج الاسلامي.

ومن المؤرخين من يحاول تنمية وإبراز شخوص معينة ووضعهم في مصاف هم ليسوا أهلاً لها بمجرد أنهم نقلوا رواية خاطئة واكتفوا بها مثل تمجيد الحاكم الأموي والعباسي رغم أن ما يدور حولهم كان سلبي من جميع الاتجاهات ولا تمت للإسلام بصلة, والمؤسف في الأمر أن المؤرخ الناقل للروايات التي تخص هذا الحاكم قد نقلها جميعها أو بعضا منها كما هي بصورتها السلبية إلا أنه لا يعلق على ذلك.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

وهذا يمثل عقلية خاطئة؛ لأن المؤرخ عندما اعتمد التقليد في الكتابة شوه التأريخ, ولم يبرز أهميته وقيمته بل اكتفى بنقل الحدث ونسخه مما شجع الآخرين على التقليد منه وهكذا أصبح التاريخ ممل ولا يدخل التشويق في طياته.

ومن ذلك نستطيع القول: أَن الطرح الكلاسيكي للمصادر التاريخية هو طرح لطمس الفكر, وبعضهم يقصد طمسه والبعض الآخر لا يقصد, ولكن لا نستطيع التماس العذر للذين لا يقصدون, لأنهم أخطئوا عندما قلدوا سابقيهم واتبعوا المنهجية السائدة آنذاك, فانسجموا مع منهجية السابقين لهم وساروا عليها دون أن يشعرون, ويمكن أن يعد هؤلاء من القلائل الذين لم يشعروا بالتقليد الأعمى سوى أنه منهجية اتبعها أبناء مجتمعهم من المؤرخين, بينما يعد الأكثرية هم الذين تبنوا تلك الطروحات برضا نفس, ولم تكن تلك الطروحات نابعة من فكر وإنما منهجيات وعقليات كانت تنظر للشيء المادي وتميل إليه كل الميل وتترك الجانب المعنوي والطرح العميق, فكانت عقلياتهم بعيدة عن الطرح القرآني وليس فيها ضوابط للطرح, كما أنهم يبتعدون عن التعمق في المادة التاريخية أو في الرواية, وهذا يؤدي إلى عدم القدرة على الحكم على الحادثة, إذ يتعمد بعض المؤرخين الكتابة عن جزء من الحادثة أو الرواية وترك جزءها الآخر, لكي يحققوا غرضا منشودا يميلون إليه وينسجم مع أهواءهم, فيسير الآخرين على ضوء ما كتبوه أولئك دون تعمق أيضا أو بسبب فقدان الجزء الآخر الذي لا يلبي طموحات المؤرخين السابقين, سواء أكانت تلك الطموحات دينية أو مذهبية أو عقدية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وما إلى ذلك.

ثانيا: العقلية الأيديولوجية

الإيديولوجية هي مجموعة من المُعتقدات والأفكار التي تؤثر على نظرتنا للعالم, و والأدلجة تعني أن صاحبها يظن أن معتقداته وأفكاره هي الشيء الطبيعي و الحقيقي بشكل واضح، حتى لو كانت تلك المعتقدات خاطئة، لكنه يعتقد أنها الحقيقة، لأنها جزء من مجموعة أفكار يؤمن بها.

ويعد المعتقد الديني هو أحد أنواع الأيديولوجية، إذ يؤثر المُعتقد الديني على آراء الشخص في بعض الأحيان، وفي بعض الأحيان فإن آراء الشخص (أيدولوجيته) تتحول و تتغير بشكل كبير على مر الزمن, ومن الأمثلة على ذلك نجد ابن أبي الحديد المعتزلي عندما شرح قول الإمام علي(عليه السلام) عن حجة أو قائم كالتالي: (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهوراً وإما خائفا مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته)[٢٧], فحاول ابن أبي الحديد توجيه هذا الكلام اعتزاليا وتأويله بما يوافق اعتقاده وذلك بصرف تلك الحجية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام), إذ قال : (إن المقصود هو عدم خلو الزمان ممن هو مهيمن الله تعالى على عباده، ومسيطر عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحا بمذهب الأمامية، إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الإبدال الدين وردت الأخبار النبوية عنهم أنهم في الأرض سائحون, فمنهم من يعرف، ومنهم من لا يعرف، وإنهم لا يموتون حتى يودعوا السر, وهو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم)[٢٨].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

والملاحظ أن بعض الأيديولوجيات المفصلة والمتقنة، مثل بعض المعتقدات الدينية، لا توجد بها تقريباً أي مساحة للمناورة و بها إجابات على جميع الأسئلة, إذ يحاول صاحبها المحاججة بكثير من الأدلة والبراهين التي يحولها لصالحه في سبيل صد الحقيقة وردعها.

أما الأيديولوجيات الأخرى بها قدر كبير من المرونة, وقد أدت الأيديولوجيات السياسية الرئيسة دوراً رئيساً في تشكيل التاريخ من خلال الحكومات والحركات السياسية, والمؤرخين الذين يكتبون لهم ويتعصبون من أجلهم, فلو نظرنا مجرد نظرة بسيطة إلى التاريخ الأموي لوجدناه عبارة عن مدح بالزعامات الأموية ورفع شأنها بغض النظر عن كونه سياسة اتخذها بني أمية لاستمرارهم في الحكم و لكنها من جهة أخرى تدل على انحراف المؤرخ وتدوينه شيء لا يمت بصلة إلى الحقيقة سوى أنه اتبع هواه فأضله عن سواء السبيل, كما يعد أصحاب هذه العقلية أنهم مرتبطين ارتباطا وثيقا بالعقلية الكلاسيكية في بعض الأحيان, لأنهم دونوا ما وجدوا من تعصبات على شكلها الذي وجدوه فيها ولم يحللوها ويتحققوا منها, وهذا يدل على تعصبهم أيضا أضف إلى تقليدهم لمن سبقهم, إذ لم يهن عليهم التحقق منها كي لا يستخرجوا زيف بنو أمية ويطلعوا العامة على حقيقتهم وهكذا استمرت الميول أو الأيديولوجيات المقيتة التي عملت على إخفاء الحقائق إلى وقتنا الحاضر حيث يتم تداول فكرة أن الإمام علي(عليه السلام) ومعاوية هما خليفتان وهم سواسية وكلاهما يحق الترضي عليه, بل في كثير من الأحيان اعداء معاوية أدهى وأفضل من الإمام علي(عليه السلام) وهو يستحق الحكم دونه, كما أن الإمام الحسين(عليه السلام) قُتل بسيف جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) , أي أن الملعون يزيد كان يحكم باسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على حسب اعتقادهم متجاهلين قوله المنافي للإسلام, والطعن بالنبوة وتكذيب خبرها بقوله:

لَعِبَتْ هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نَزلْ[٢٩].

أضف إلى تجاهلهم أقوال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يصف الإمام الحسين(عليه السلام) بأنه سيد شباب أهل الجنة وأنه ريحانة رسول الله ومن أحبه أحب الرسول ومن أبغضه أبغض الرسول , ولكنهم أبوا إلا التعصب في من تنتمي عقولهم إليه بغضا وحقدا وحسدا, وبعضهم من اطلع على الحقيقة وعرف أن الإمام الحسين(عليه السلام) شهيد وهو صاحب فكر حي وأن يزيد ليس مثله, لكنهم عدوا ذلك شيء قديم ولا فائدة من استرجاع ذكرياته, لكي لا يتم استرجاع ماضي بني أمية الأسود وتبيان حقدهم على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعاملة ذريته بأبشع المعاملات وأقساها, ومنهم من يزعم أن الحسين(عليه السلام) ويزيد لعنه الله بنو عمومة ولا علاقة لنا بذلك, وقد يأتي يوم يقال فيه أن الله هو الوحيد الذي يحاسبهم على أعمالهم وربما ينال يزيد لعنه الله الثواب وحسن العاقبة, كما يقال دائما أن الله هو الذي يحاسب وربما نوايا الإنسان في قلبه تختلف عما فعله أو لأنه مجبر

ومقدر عليه فعل ذلك, وهذا ليس بالشيء العجب فأنهم لم يسبقوا ابن عبد ربه الأندلسي الذي أعطى لابن ملجم أجر على ضربته للإمام علي(عليه السلام) تلك الضربة التي أودت بحياته[٣٠] في سنة(٤٠هـ/٦٦١م)[٣١].

وهذا ان دل فهو يدل على محدودية الفكر في عقلياتهم، بسبب تناقضهم للمرتكزات الفكرية والتاريخية، بمخالفتهم للعقل والمنهج العلمي، فالمؤرخ الذي يبتعد عن الدقة والموثوقية وعن النظرة الموضوعية التي تحدد الحقائق دون التأثر بالمؤثرات، لم يكن الا انه قد اساء الى العقل والفكر، إذ انه خالف العقل والمنطق وعبد طريق التضليل والخداع.

ولم يكتف أصحاب المنهج التاريخي بذلك بل استمروا على مسارهم التقليدي والأيديولوجي حتى في مجال الولادات والفضائل التي يتميز بها بعض الشخوص ويفتقر إليها شخوص آخرين, فمثلا جعلوا من حكيم بن حزام[٣٢] وليدا في الكعبة أيضا[٣٣] شأنه شأن الإمام علي(عليه السلام) الذي ولد فيها, لكي لا يبقى مميزا في نظر الآخرين فلصقوا ميزاته بشخص آخر وهكذا ألقابه(عليه السلام) عندما كان يقول: " أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأعظم"[٣٤], أيضا نجدها ألقابا لأشخاص آخرين, فهذا ما كان يفعله المؤرخين بدافع عصبي من دون تحليل وتمحيص وتركيب, لأنهم لا يريدون تجاوز ما ذكره الرواة من بعض الادعاءات, لأنها تتعاكس وتتضاد مع انتماءاتهم, وعليه فمن الضروري الإبقاء على ما وجدوه أو إضافة دليل أو حجة لتقويته, كخلافة أبي بكر بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه صلى خلفه أو أمره بالصلاة بالناس[٣٥], بينما تجاوزوا بيعة الغدير للإمام علي(عليه السلام) رغم أنهم لم ينكروها إلا أنهم لو أقروا بها من باب خلافة المسلمين لما أضفوا الصبغة الشرعية على تخلف أبي بكر, وهكذا هي بقية الأحداث التي تتنافى مع عقلياتهم.

وبالتالي فإن العقليتين كلتيهما استخدمتا أدوات خاطئة في تدوين التاريخ وتحليله؛ لأنهم أوصلوا التاريخ كرواية أو قصة وخبر, ولم يستنطقونه على عكس ما فعله الراسخون في العلم, فمثلاً نجد في وصية الإمام علي لابنه الإمام الحسن(عليهما السلام) حول استنطاق التاريخ والتعمق فيه, إذ قال(عليه السلام): " أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلى من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر جليله، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله،....."[٣٦].

يتضح من وصية الإمام علي(عليه السلام) إنها نموذج واضح لاستنطاق التاريخ باستخدام أدوات الفكر وليس بالطرق العادية البسيطة التي لا تنتمي إلى التعمق بالتفكر التي لا يظهر منها التاريخ سوى حدث وقصة ناقصة للتطور والعلم من التاريخ, لأن التاريخ إذا ما استخدم بطريقته الصحيحة فهو علم ومن العلوم الكبيرة ولولاه لما كان للعلوم الأخرى أي وجود أو أهمية إذا لم يكن

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ - المجلد ٥٠ - حزيران لسنة ٢٠٢٥

للتاريخ دوراً واضحاً فيها سواء بخصوص التطور على أساس الماضي وتجديد مكامن ومضامين تلك العلوم وصب الإضافات وتجديدها أو من خلال معرفة تاريخها وأصولها والفوائد والمضار التي انبثقت منها.

نستنتج من كل ما تقدم أن ما ورد في مؤلفات القدامى لم يكن منهجاً موضوعياً لان المنهج الموضوعي هو المنهج العقلاني، ومقتضى العقلانية التعامل بموضوعية مجردة إي لا حكم للعواطف السير على قاعدة لا إفراط ولا تفريط، بمعنى طرح القديم والجديد على ضوء العقلانية، وعلى هذا الأساس يمكن ان نقسم المؤرخين على شقين:

١- أصحاب المنهج التجريبي المؤدلج: يتبعون طريقة الطرح البسيط القائم على اساس الفهم السطحي غير المتعمق البعيد عن التفكر أو الاستنتاج فلا يصل بنا إلى نتيجة ولا يحل لنا مشكلة سابقة أو آنية، هكذا كتابات لا تضفي شيئاً على الباحث ولا تظهر الحقائق، لأنها اكتفت بما طرح ولهذا النوع أصناف :

أ- الناسخ والذي ينقل المعلومات كما هي.

ب- الجامع : يختار المواضيع فيجمع مادتها من هنا وهناك.

ت- الشارح: يقدم النص بطريقته لكن لا يغير عليه شيء.

ث- الكاتب : وهو الذي يضيف رأيه وقد يصيب أو يخطأ وفي كلاهم لم يكن للفكر نصيب.

فلو أخذنا مصداق على ذلك خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والتي تعرف بالخطبة الفدكية[٣٧] لوجدنا الكثير ممن نسخها أو نقلها وهناك من أضاف رأي أو وجهة نظر ونجدها غير منطقية فهناك من اعترض على وجود هكذا حادثة أصلا بكون السيدة عليها السلام بعيدة عن ماديات الحياة, وآخرين بينوا عدم أحقيتها أي انحصر تفكيرهم في نطاق ضيق لم يسهم عقلهم إسهام فعال، حتى لم يقدموا نتائج مقنعه كل هذه الآراء والأفكار انبثقت من قاعدة " هذا ما وجدنا عليه آباءنا"، فمثلا حين نأتِ للطبري ت٣١٠هـ نجده ناقل للروايات أي اتبع المنهج التقليدي جاء بعده ابن الأثير ت٦٣٠هـ لم يعمل شيء سوى النقل أيضاً، وقد حث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الوعي قال: " نضَّرَ الله عبدًا سَمِع مقالتي فوعاها، فبَلَّغها مَن لَم يَسْمعها، فرُبَّ حامل فِقْه إلى مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فِقْه لا فِقْهَ له"[٣٨]، فهذه دلالة واضحة إلى ضرورة الوعي بالنقل والتفحص والتمحيص.

٢- أصحاب المنهج العقلاني: وهؤلاء ممن اتبعوا أسلوب الفكر في التعامل مع النص والمادة، وينقسم أصحاب هذا المنهج إلى صنفين:

أ- الأول منهج عقلاني موضوعي : ممن تدبر ووعى وأدرك ضرورة الفكر وجاء ما نتج منه موافقا للقرآن والسنة، وخير من مثل هذا المسار أئمة آل البيت عليهم السلام، فما تركوا لنا يوضح المنهج العقلي الموضوعي بأبهى صورة، كما يمكن إن نأخذ السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره كامتداد لأئمة آل البيت (عليهم السلام) في رسم الجانب العقلي الموضوعي وما

يوضح ذلك قوله ق س : " دخول شيء كثير من الدس والافتراء، في مجاميع الروايات الأمر الذي يتطلب عناية كاملة، من التمحيص والتدقيق ..."[٣٩].

ب- الثاني منهج أيديولوجي منحرف: يقوم هذا المنهج بالتعامل بعقلية منحرفة مع النص من حيث إرسال صور عقلية يمكن لها تشويش القارئ وهذا من اخطر الأنواع وأشدها مثلا تبريز ظاهرة الإلحاد بالله بوصفها منظومة متطورة متبعه لاسيما في الوقت الحالي، الغاية منها غزو الفكر الإنساني وجذبه لدائرة نطاقهم، وهذا من اخطر المناهج المتبعة والتي يقع فيها ممن لم يتحصن بمعلومات وآراء كافية.

وهناك ممن يستخدم عقليته لتلميع صورة او تمجيد شخوص بحكم روابط تجمعهم قد تكون عرقية أو دينية وحتى عقدية، مما يدفعهم إلى إخفاء الحقائق بطرق فنية يصعب كشفها أو معرفتها من غير المحصنين علميا، وهناك من يحاول تغطية بعض الأمور من خلال جلب قضايا مقاربة وإن كانت حديثة العهد جاء القصد منها إبعاد الأنظار عن تلك الأحداث التي قد تختلف مع أفكارهم العقدية ومن هذه الأمثلة : رؤية ابن خلدون في انهيار الدولة وبأنه أمر حتمي، لا يوجد حاكم عادل، لأن سقوط الدول أمر لا محال منه، فلو كان الحاكم عادل لعدل في جميع الأمور من حيث الأحكام وحقوق الرعية، وعندما تكلم عن السياسة الناجحة في إدارة الدولة وسياسة الرعية والآداب الدينية والأخلاقية ووصايا للحاكم كي يبتعد عن الظلم والعدوان، بينَ إعجابه بوصية طاهر بن الحسين[٤٠] لأبنه[٤١] مع أن هذه الوصية جاءت بعد عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر [٤٢]، وهي من أشهر العهود السياسية وأعظمها, إذ تضمن هذا العهد الأركان الرئيسة التي حددها الإمام ع والتي يجب أن ينتهجها جميع الحكام، والغريب أن ابن خلدون لم يشير إلى هذا العهد من خلال تطرقه للدولة والأسس الرصينة التي يجب على الحكام أتباعها على الرغم أن عهد الإمام علي(عليه السلام) حاوياً لكافة الجوانب المهمة والتي من واجب الحاكم أن يقتدي بها.

مما تقدم يتضح أن العقلية قد تكون منظومة بنائية أو قد يستخدم كمنظومة هدميه، فهناك فرق شاسع بين منهج الهدم والتخلف ومنهج الإنتاج والبناء، ويمكن أن يأتي منهج الهدم بأسلوب خطابي نقدي محاول الحط من بعض الموضوعات أو الروايات بطرق ملتوية، ويمكن القول أن منهج الهدم يملك ثقافة ركيكة ضعيفة وان كان العقل هو محور استخدامه وذلك حين نقارنه بمنهج البناء، فالقوة والإبداع والابتكار لا تعتمد الهدم وإنما البناء، فالمنهج الموضوعي العقلي يعمل على الابتكار بينما بالمقابل المنهج الهادم يبذل جهده لهدم ذلك الابتكار، فهو في دائرة ضيقة.

كما يتضح أن المصادر التي يغلب عليها الطابع الأيديولوجي تبتعد كثيراً عن الفكر , إذ يسود عليها عبارات الطعن والتعدي على الآخرين بدافع تعصبي, ويكون أسلوب السب والشتائم أسلوبا غير بعيد عنها وهو يشغل جزء كبير منها, وهذا لا يتناغم مع الفكر

مجلة آفاق البصرة للعلوم الإنسانية العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

ولا يتناسب معه, لأن الفكر بعيدا عن هذه الأساليب, وإنما يعتمد أسلوب اللين والمرونة والحجج الدامغة التي تتناسب مع الطرح القرآني.

ونلاحظ أن العقلية الأيديولوجية تؤسس إلى منهج الحاكم السياسي, لغاية هدفها سيطرة الحاكم على رقاب الناس, فتحاول أن تشرعن لذلك المنهج, فحاولوا شرعنة الحاكم وأضفوا عليه صبغة القداسة, فمن منهم يستطيع أن ينكر أن عثمان بن عفان رجل أموي سلط صبيان بني أمية على رقاب الناس وحاول طمس معالم السنة النبوية بشهادة عائشة التي أوصت بقتله قائلة: (هذا قميص رسول الله لم يبل وأنت أبليت سنته, اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا)[٤٣], ومع ذلك هم قدسوا الاثنان معا عثمان وعائشة الناقد والمنقود وترضوا على الاثنين؛ لأنهم لا يستطيعون تجاوز أحدهما دون الآخر رغم غلوطاتهم, فعائشة نفسها طعنت بعثمان, وحَرَضّت العامة على قتله, ولكنها زعمت أنها خرجت تطالب بدمه رافعة قميصه بيدها متجهة إلى البصرة, لكي توقظ فتنة سَوَّلَتْ لها نفسها القيام بها لغاية كانت ترجوها, لإبعاد الإمام علي(عليه السلام) عن حقه بالخلافة وكذلك الحكم حسب نظام الشورى الذي قرروه في السقيفة بعد استشهاد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم), ولكن رغم وضوح ذلك كوضوح الشمس بدون حجب إلا أن المؤرخين تجاوزوا تلك الأحداث ولم يعلقوا عليها, وأحيانا يعلقون بالتماس الأعذار للأطراف التي يميلون إليها وبأعذار أقبح من الأفعال منها مثلا قرابتهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كزيجة أو صحبة ويأتون بأدلة وبراهين مصطنعة تتنافى مع الفكر وتتناغم مع عقلياتهم, لأنهم جعلوا فئة في مصاف الصحابة وخففوا الصحبة والعمومة والقرابة والوصاية من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن فئة أخرى؛ لأنها فئة حقيقة وأحقية ولا تتناغم مع عقلياتهم المهزوزة.

المبحث الثالث: آثار محدودية الفكر في عقلية المؤرخين

استمرت سلسلة المؤرخين ذوي العقلية المحدودةَ الفكر منذ العصور البالية إلى وقتنا هذا رغم التطور والتجديد إلا أن العصبية لا زالت قائمة, وما دامت قائمة فإنها تبقى مؤثرة على أصحابها وعلى أتباعهم على المنوال نفسه, وهكذا وقع بعض الباحثين في عصرنا الحديث في الفخ نفسه الذي وقع فيه المؤرخين السابقين على مدى الأزمنة والأمكنة عندما خضعوا للتقليد والتعصب, فاكتفى أغلب الحداثويين بما قاله المؤرخ السابق دون الأخذ بنظر الاعتبار انه لا يخلو من الهفوات التي لابد للمؤرخ ان يقف عندها، والذين وقفوا عندها توجهت لهم انتقادات مثلما قدم السخاوي نقداً لاذعاً لمن ذم المؤرخين جامعاً ذلك في كتاب عنوانه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ, وهو معتبرا أن جميع ما في التاريخ صحيح ولا تشوبه شائبة, فانتقد الرأي الصائب والخاطئ معاً[٤٤].

وعندما ننظر إلى النمط الفكري العام لدى أفراد مجتمعنا بنظرة تحليلية نجد فكرة المطابقة التي أشرنا إليها مهيمنة، ونجد صعوبة كبيرة لدى العقل في تقبل الاختلاف، وتكاد لا توجد فكرة تقبل اختلاف التفكير والآراء والمعتقدات على أنه اختلاف طبيعي مثل

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

الاختلاف بين الحق والباطل والجيد والرديء, ونجد أيضاً منطق البديلين فقط الذي يختزل العالم بتعقيده وبساطته في اختيارين فقط كلٍ منهما مضاد أو معادي للآخر، فإما هذا أو ذاك، أما أنا وأما أنت, ولا نجد فكرة المزيج الذي يمكن أن يجتمع فيه البديلين ليخرج عنهما شيئاً مختلفاً، أو فكرة التعاون الإبداعي , وكل هذا مجتمعا أدى إلى تعلّم الناس نمط التفكير الخاطئ من خلال عقلية ثبتت اركانها على اسس ارهابية، مما يفسد كافة العلاقات الاجتماعية، ويضعف الجسد الاجتماعي ككل، ونجد أن نظام التعليم غير مهتم بتعليم التلاميذ والطلاب على التفكر، ولا يدرّبهم عليها، ولا يهتم بالجانب الفكري لديهم، فالتاريخ يتم تدريسه في المدارس وفي بعض الجامعات العربية على نطاق ضيق جداً غير أن مناهجه لا تربي المفكر الذي نتطلع إليه, وهذا له علاقة بعدة جوانب منها:

✺أولاً: الجانب العقدي

ويتمثل بضعف العقيدة وعدم ربط الأحداث بالقرآن الكريم والحديث النبوي والأولياء الصالحين للخروج بمنهج جديد, فهم من ناحية أخرى يعتبرون القرآن أقدس كتاب على وجه الكرة الأرضية وبلا شك هو كذلك, ولكن لا يعتبرونه مقياسا يقيسون عليه الأحداث والأخبار لاستخراجها بالشكل المطلوب خاصة تلك الأحداث التي تبين أنها متضادة بين شيئين, فالقرآن الكريم قد وضع موازين لذلك مثل الاقتتال بين فئتين أحدهما مؤمنة والأخرى ضالة, فلو وضعنا ذلك في ميزان القرآن لتوصلنا إلى حقيقة مفادها لا يجب طاعة الفئة الضالة, ولكن نحن على العكس من ذلك قد وجدنا طاعة الحاكم أو الفئة الحاكمة الضالة تسري في عروق ممن تسموا بالمسلمين في كثير من الأحيان, والكثير من الأحداث التي أوصى القرآن الكريم فيها بالتدبر والتفكر والتذكر, كما قال الإمام الصادق(عليه السلام) عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): (أنه خطب، فقال : إن الحديث سيفشو علي، فما أتاكم عني يوافق القرآن، فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني)[٤٥].

وعن الإمام علي(عليه السلام) أنه قال: (ستكون عني رواة يروون الحديث، فاعرضوه على القرآن، فإن وافق القرآن فخذوه، وإلا فدعوه)[٤٦].

وعن الأمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: (ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف)[٤٧].

✺ ثانياً: الجانب السياسي

فالأنظمة الاستبدادية ترغب في فردٍ أعمى غير مفكر، ولقد تم بالفعل ترسيخ هذا النمط الخاطئ في مجتمعنا أيديولوجياً على يد المستعمرين والمستبدين على مدى تاريخنا، ولكن هذا النمط الآن تحوّل إلى وباء قاتل، وإذا لم نقضي عليه فإنه سيقضي علينا.

✺ ثالثاً: الجانب الاجتماعي

إن أغلب المجتمعات تخضع للتقليد الأعمى وتنشأ نشأة تقليدية أباً عن جد بشكل متغلغل في الأعماق, فلا يحاولون تطوير ذاتهم ولا تكذيب الخبر الذي وصل إليهم من أجدادهم القدماء سواء بدافع الميول والتعصب وأخذ العزة بالإثم أو تصديق أجدادهم وحملهم على محمل القداسة.

وعلى ضوء ما قدمناه في هذا المبحث يمكننا القول: إن بعض المصادر العربية القديمة حققت أهدافها وأثرت على الآخرين سلبياً وأن أول هذه الآثار هي توجيه الناس بشكل سلبي وبصورة خاطئة وليس توجيه فكري مما نشر الجهل بين أوساط المجتمعات على مدى الأزمنة والأمكنة, واليوم أغلبية الناس تعاني عقلياتهم من محدودية في الفكر النابع من التقليد والأدلجة ومنطلق منهما, عقليات محدودة الفكر التي تنطلق من السلطان وتقدسه, تضع بعض الفئات في غير مواضعها, فتضع الحسن مكان السيئ والسيئ مكان الحسن, وكذلك بالنسبة إلى تبادل الأدوار بالنسبة للحق والباطل وهكذا, وهذا أدى إلى تسلط السلاطين على رقاب الناس بدعوى قداستهم فنراهم يبررون لأنفسهم سفك الدماء والسيطرة على الممتلكات أو الثروات وتجويع الشعوب وجعلهم آلة بأيديهم أو ملكا لهم متى ما شاءوا أبادوها أو فعلوا بها ما يحلوا لهم, وعليه ظهرت الحركات المتطرفة من وهابية ودواعش وغيرهم, كما ظهر الإلحاد نتيجة لهذه المصادر, وذلك يعود إلى التناقضات التي يجدها القارئ في سطور المؤلفات, وبسبب عقليتهم الضيقة ظنوا إن الإسلام دين يسفك الدماء وأنه دين السيف والإرهاب فابتعدوا عنه, لأنهم وجدوا ذلك في المصادر, فصدقوها ولم يخضعوها للتحليل, وبالنتيجة أثرت عليهم تأثيرا سلبيا لأنهم خضعوا لها وقلدوها وساروا وفقا لما في طياتها, ولم يفرقوا بين الوهم والحقيقة وبين الوعي واللاوعي وبين المادة والفكر المعنوي وبين ما أشارت إليه المصادر وبين الطرح القرآني وبين الجهلة والأولياء الصالحين.

الخاتمة

الفكر هو الشيء الأساس في العقل, والمفكر هو الذي يضع الشيء في محله, وأن لم يكن كذلك فمعنى أن صاحبه قد خضع للتقليد أي أنه اعتمد على الآخرين في النقل وهذا ما مثلته الشخصية الكلاسيكية وأن كان هناك أصحاب فكر عقلاني واضح يمثله منهج أهل البيت عليهم السلام, وهم أصحاب فكر متجدد غير خاضع للتقليد.

وتعد الإيديولوجيات الخاطئة من الأمراض التي تصيب العقل البشري وتدمره, إذ أن الخضوع للأهواء والمزاجيات والتعصب لا يأت بفكر متجدد وإنما يأتي بعقلية محدودة الفكر التي يغض صاحبها النظر عن الرأي الصحيح لمجرد أنه لا يميل إلى أصحاب هذا الرأي, وأن كان بينه وبينهم قرون من الزمان.

لا ينطبق هذا الكلام على المؤرخين فحسب, بل يشمل الكُتّاب جميعهم سواء كانوا أدباء وقضاة ومفسرين وشعراء وغيرهم فكلا من هؤلاء يملك عقلية كلاسيكية ونفس عصبية, كما أنهم يدخلون في مجال التاريخ لاسيما إذا تطرقوا إلى ذكر الأشخاص والأزمنة ولو بمجرد الإشارة إلى ذلك أي الاكتفاء بذكر العصر أو عهد أحد الحكام أو ما يشير إليه, وهذا يعني أن أغلب المجالات تصب في نطاق التاريخ, وأن لفظ المؤرخين لا يعني أولئك الذين كتبوا أحداثا تاريخية كمعارك وحاكم سياسي في مدد محددة بتواريخ.

الهوامش:

[١] مصطفى وآخرون, المعجم الوسيط, ج٢, ص٦٩٨.

[٢] رضا, معجم متن اللغة, ج٤, ص٤٣٩.

[٣] المناوي, التوقيف على مهمات التعاريف, ص٢٦٣.

[٤] الجوهري, الصحاح في اللغة والعلوم, ص١٥٩٦.

[٥] سورة البقرة, الآية ٢١٩.

[٦] ابن القيم, مفتاح دار السعادة, ج١, ص١٨٠.

[٧] ابن مفلح, الفروع وتصحيح الفروع, ج٢, ص٣٥١.

[٨] المجلسي, بحار الأنوار, ج٢٢, ص٤٣١.

[٩] سورة النحل, الآية ٤٤.

[١٠] سورة الحشر, الآية٢١.

[١١] سورة آل عمران, الآية ١٩٠–١٩١.

[١٢] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان, ج٢, ص٣٨٧.

[١٣] سورة الرعد, الآية٣.

[١٤] سورة الروم, الآية٢١.

[١٥] سورة النحل, الآية٦٨–٦٩.

[١٦] سورة فصلت, الآية٥٣.

[١٧] سورة النساء, الآية٨٢.

[١٨] سورة الرعد, الآية١٩.

[١٩] سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

[٢٠] المجلسي, بحار الأنوار, ج١, ص١٦٠.

[٢١] جابر، حميد سراج،مفهوم العقل في فكر الامام علي عليه السلام (دراسة في نهج البلاغة)، مجلة اداب البصرة، العدد ٦٦، لسنة ٢٠١٣م، ص٢٠٠.

[٢٢] أبو داود, سنن أبي داود, ج٥, ص٥٠١.

[٢٣] ينظر: ابن الأثير, الكامل في التاريخ, ج٤, ص٣٥؛ النويري, نهاية الأرب, ج٢٤, ص٤٠؛ المقري, نفح الطيب, ج١, ص٢٣٠.

[٢٤] سورة النصر, الآية١–٢.

[٢٥] ابن أبي الحديد المعتزلي, شرح نهج البلاغة, ج١٠, ص٢٢٨.

[٢٦] الجندي, الإمام جعفر الصادق, ص٣٢٩.

[٢٧] شرح نهج البلاغة, ج١٨, ص٣٥١.

[٢٨] شرح نهج البلاغة, ج١٨, ص٣٥١.

[٢٩] الطبرسي, الاحتجاج, ج٢, ص٣٤؛ ابن كثير, البداية والنهاية, ج١١, ص٦١٤.

[٣٠] العقد الفريد, ج٥, ص١٠٨.

[٣١] الذهبي, سير أعلام النبلاء, ج١, ص٥٨٠.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

(٣٢) حكيم بن حزام بن خويلد, من قريش, عدوه من سادات قريش في الجاهلية, شهد الإسلام واعتنقه وصار من المحدثين بأحاديث النبي□, توفي سنة ٥٤هـ. ينظر: ابن بكار, جمهرة نسب قريش وأخبارها, ص٣٥٣؛ البغوي, معجم الصحابة, ج٢, ص١١٢.

(٣٣) الفاكهي, أخبار مكة, ج٣, ص٢٣٦.

(٣٤) المجلسي, بحار الأنوار, ج٣٩, ص٣٤٧.

(٣٥) ابن بطة, الإبانة الكبرى, ج٨, ص٤٣٥.

(٣٦) ابن أبي الحديد المعتزلي, شرح نهج البلاغة, ج١٦, ص٦٧–٦٨.

(٣٧) عن خطبة فدك وما حولها من آراء ينظر: الطبرسي, الاحتجاج, ج١, ص١٣١.

(٣٨) أبو نعيم الأصبهاني, مسند أبي حنيفة, ص٢٥٢.

(٣٩) الفتاوى الواضحة, ص٨٨.

(٤٠) رجل فارسي مسلم, وهو وزير المأمون وقائد عسكره ومن ثم ولاه على خراسان سنة ٢٥٠هـ. ينظر: مسكويه, تجارب الأمم, ج٤, ص١٤٥.

(٤١) العبر, ج١, ص٣٧٩.

(٤٢) ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة،ج١٧، ص٣٠.

(٤٣) ابن الأثير, النهاية في غريب الحديث والأثر, ج٥, ص٨٠.

(٤٤) ينظر كتابه الإعلان بالتوبيخ بجميع صفحاته.

(٤٥) الكليني, أصول الكافي, ج١, ص٦٩.

(٤٦) الكليني, أصول الكافي, ج١, ص٦٩.

(٤٧) الكليني, أصول الكافي, ج١, ص٦٩.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر

✺ابن الأثير, أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الجزري,(ت٦٣٠هـ).

١– الكامل في التاريخ, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, الطبعة الأولى, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٩٩٧م.

✺ابن الأثير, أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت٦٠٦هـ).

٢– النهاية في غريب الحديث والأثر, تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, ١٩٧٩م.

✺ ابن بطة, أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي(ت٣٨٧هـ).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

٣- الإبانة الكبرى, تحقيق رضا معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل والوليد بن سيف النصر وحمد التويجري, دار الراية للنشر والتوزيع, الرياض, د.ت.

✺ البغوي, أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه(ت٣١٧هـ).

٤- معجم الصحابة, تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني, الطبعة الأولى, مكتبة دار البيان, الكويت, ٢٠٠٠م.

✺ ابن بكار, الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي(ت٢٥٦هـ).

٥-جمهرة نسب قريش وأخبارها, تحقيق محمود محمد شاكر, مطبعة المدني, القاهرة, ١٣١٨هـ.

✺الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت٣٩٣هـ).

٦- الصحاح في اللغة والعلوم، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

✺ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي,(ت٣٥٤هـ).

٧- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان, تحقيق شعيب الأرناؤوط, الطبعة الأولى, مؤسسة الرسالة, بيروت, ١٩٨٨م.

✺ابن أبي الحديد المعتزلي, عز الدين بن هبة الله(ت٦٥٦هـ).

٨- شرح نهج البلاغة, تحقيق محمد عبد الكريم النمري, دار الكتب العلمية, بيروتو ١٩٧١م.

✺ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ).

٢٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.

✺ أبو داود, سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(ت٢٧٥هـ).

٩- سنن أبي داود, تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي, الطبعة الأولى, دار الرسالة العالمية, بيروت, ٢٠٠٩م.

✺الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن فايماز, (ت٧٤٨هـ).

١٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ومأمون الصاغرجي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

✺السخاوي, شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ).

١١- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ, تحقيق سالم بن غتر بن سالم الظفيري, الطبعة الأولى, دار الصميعي للنشر والتوزيع, الرياض, ٢٠١٧م.

✺ الطبرسي, أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب(ت٥٤٨هـ).

١٢-الاحتجاج, تحقيق محمد باقر الخرسان, الطبعة الأولى, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, ١٩٦٦م.

✺ ابن عبد ربه, شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ).

١٣– العقد الفريد, الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٠٤هـ.

✺ الفاكهي, أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس(توفي في القرن الثالث الهجري).

١٤– أخبار مكة, تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش, الطبعة الثانية, دار خضر, بيروت, ١٩٩٤م.

✺ابن القيم, شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد,(ت٧٥١هـ).

١٥– مفتاح دار السعادة, ومنشور ولاية العلم والإرادة, دار الكتب العلمية, بيروت, د.ت.

✺ابن كثير, عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت٧٧٤هـ).

١٦-البداية والنهاية, مكتبة الصفا, القاهرة, ٢٠٠٣م.

✺ الكليني, أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق,(ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ).

١٧– أصول الكافي, تحقيق أكبر الغفاري, الطبعة الثالثة, دار الكتب الإسلامية, طهران, ١٣٨٨هـ.

✺ المجلسي, محمد باقر,(ت١١١١هـ).

١٨– بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, مؤسسة الوفاء, بيروت, ١٩٨٣م.

✺ مسكويه, أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـ).

١٩– تجارب الأمم وتعاقب الهمم, تحقيق أبو القاسم إمامي, الطبعة الثانية, سروش–طهران, ٢٠٠٠م.

✺ابن مفلح, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج,(ت٧٦٣هـ).

٢٠– الفروع وتصحيح الفروع, تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي, الطبعة الأولى, مؤسسة الرسالة, بيروت, ٢٠٠٣م.

✺ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ).

٢١– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

✺المناوي, زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين,(ت١٠٣١هـ).

٢٢– التوقيف على مهمات التعاريف, الطبعة الأولى, عالم الكتب, بيروت, ١٩٩٠م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢- المجلد ٥٠- حزيران لسنة ٢٠٢٥

✺ أبو نعيم الأصبهاني, أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران(ت٤٣٠هـ).

٢٣- مسند أبي حنيفة, تحقيق نظر محمد الفاريابي, الطبعة الأولى, مكتبة الكوثر, الرياض, ١٤١٥هـ.

✺ النويري, أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم,(ت٧٣٣هـ).

٢٤– نهاية الأرب في فنون الأدب, الطبعة الأولى, دار الكتب والوثائق القومية, القاهرة, ١٤٢٣هـ.

ثالثاً: المراجع

✺جابر، حميد سراج

٢٥-مفهوم العقل في فكر الامام علي عليه السلام (دراسة في نهج البلاغة)، مجلة اداب البصرة،العدد ٦٦، ٢٠١٣.

الجندي, عبد الحليم.

٢٦- الإمام جعفر الصادق(ع), الطبعة الأولى, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, مصر, ١٩٧٧م.

✺ رضا, أحمد.

٢٧– معجم متن اللغة, دار مكتبة الحياة, بيروت, ١٩٦٠م.

✺ الصدر, محمد باقر.

٢٨- الفتاوى الواضحة, لجنة تحقيق تابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر, الطبعة الأولى, مطبعة الآداب, النجف الأشرف, ١٤٢٢هـ.

✺ مصطفى, إبراهيم وآخرون.

٢٩– المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, القاهرة, د.ت.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢- المجلد ٥٠- حزيران لسنة ٢٠٢٥